الهدى ذا، فما المهدي

ورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره فقال عند مسيره مودعاً ابن العميد سنة أربع وخمسين وثلاث مئة (٩٦٥م):

[الطويل]

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَاباً عَلَى الصَّدِّ
وَلَا خَفَراً زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخَدِّ(١)
وَلَا لَيْلَةً قَصَّرْتُهَا بِقَصِيرَةٍ
أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُحْبَةَ الْعِقْدِ(٢)
وَمَنْ لِي بِيَوْمٍ مِثْلِ يَوْمٍ كَرِهْتُهُ
قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ(٣)
وَأَنْ لَا يَخُصَّ الْفَقْدُ شَيْئاً فَإِنَّنِي
فَقَدْتُ فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِي وَلَا وَجْدِي(٤)
تَمَنِّ يَلَذُّ الْمُسْتَهَامُ بِذِكْرِهِ،
وَإِنْ كَانَ لَا يُغْنِي فَتِيلاً وَلَا يُجْدِي(٥)

---

(١) الخفر: الحياء. إنها لحظة الفراق، فلقد انتهى كلّ شيء كان بين الشاعر وممدوحه إلّا ما كان بينهما من صدّ وعتاب، والعتاب يغسل القلوب ويُجدّد الودّ ويغسل إحن القلوب، ولقد نسي الشاعر كلّ ذلك سوى ما غشيه من الحياء حتى إنه قد غزاه الخفر واحمرّت وجنتاه بسبب ما كان بينهما.

(٢) القصورة: المرأة المحبوسة في مخدعها فلا تغادره. يُردف الشاعر حديثه أنه لم ينس كيف أنه قصّر ليلة قضاها إلى جانب امرأة لا تغادر مخدعها من المصونات، وقد تغلغلت يده في أنحاء صدرها، وكأن يده عقد يُطوّق جيدها، وكان عناق طويل.

(٣) يتمنّى الشاعر أن يكون له يوم آخر يودّع فيه ممدوحه، رغم كرهه لذلك اليوم وما يمثّله من فراق، وقد يكون لقاء آخر، والبشر من المحبين يتمنّون لحظة الوداع لما فيها من نظرات متبادلة ذات دلالة على مدى معاناة المحبين ممزوجة بالتسليم للقضاء الذي عليهم الفراق.

(٤) الوجد: شدّة الشوق. يتمنّى الشاعر لو ينتهي كلّ شيء في هذه اللحظة، فقد أحبّته ولكنه لم يفقد إحساس الألم فبكى حزيناً، وهو في الواقع يتمنّى لو يفقد بكاءه وشدّة شوقه أيضاً، ولعلّ في ذلك راحة نفسه.

(٥) المستهام: العاشق الولهان. الفتيل: هو ما على شقّ نواة التمر. تلك أمنية بعيدة =

وَغَيْظٌ عَلَى الأَيَّام كَالنَّارِ فِي ٱلْحَشَا
وَلَكِنَّهُ غَيْظُ ٱلأسِيرِ عَلَى الْقِدِّ(١)
فَإِمَّا تَرَيْنِي لَا أُقِيمُ بِبَلْدَةٍ
فَآفَةُ غِمْدِي فِي دُلُوقِي وَفِي حَدِّي(٢)
يَحِلُّ ٱلْقَنَا يَوْمَ الطِّعَانِ بِعَقْوَتِي
فَأَحْرِمُهُ عِرْضِي وَأُطْعِمُهُ جِلْدِي(٣)
تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي
نَجَائِبُ لَا يَفْكُرْنَ فِي النَّحْسِ وَالسَّعْدِ(٤)
وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلَثَّمُوا
عَلَيْهِنَّ لَا خَوْفاً مِنَ ٱلْحرِّ وَٱلْبَرْدِ(٥)

= المنال ولا تُجدي نفعاً، وهي محض أمنية لا أقلّ ولا أكثر. وليس للعاشق إلّا التمنّي، وتمنّي المحال محال فلا ينفع في مثل هذا الوقف.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٥. الحشا: ما اضطمَّت عليه الضلوع. القِدّ، بكسر القاف: القيد يُقيّد به الأسير. عتب الشاعر على الدهر لا يتوقّف يتكرّر في معظم قصائده، وغيظه يُلهب أحشاءه فيُحرق كلّ بصيص أمل في سعادته في هذه الدنيا، والمشكلة أن غيظه يعود عليه بالحسرات فلا من يُحسّ بآلامه ليخفف من أساه، والأيام لا تهتم لآلام البشر؛ إنه القضاء الذي لا يرحم، ينفذ في مصير البشر كالسهم المارق، والبشر أسرى لديه فلا فكاك من براثنه.

(٢) الدلوق: خروج السيف من غمده دون أن يُسل. يصعب على المتنبي الاستقرار في مكان واحد، وذلك شأن من يفتش عن شيء ضاع منه في محيط لا حدود له، لذا يُرى دائم السعي عن شيء لا يستطيع إمساكه بيده كالهواء تماماً ينساب بغمضة عين، لذا فهو يعتذر لحبيبته عن سرعة الرحيل، إنه سيف جرّده الزمن، ما إن يوضع في غمده حتى ينزلق منه ليجدّد العذاب في مكان آخر.

(٣) عقوتي: ساحتي. وممَّا يدلّ على شجاعة الشاعر وأنفته أنه لا يفرّ في المعركة بل إنه يواجه الموت ببسالة وشجاعة، ها هو ذا جلده عرضة للتمزق، ولكنه يرفض أن يمزّق عِرضه فتلوك الألسنة سيرته ويطعنون بمصداقيّته فيتهمونه بالادعاء؛ وهذا ما سبب مقتله في ما بعد.

(٤) و (٥) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٥. النجائب، =

وَلَيْسَ حَيَاءُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلذِّئْبِ شِيمَةً
وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الأَسَدِ الْوَرْدِ(١)
إِذَا لَمْ تُجِزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةٌ
أَجَازَ الْقَنَا وٱلْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ(٢)
يَحِيدُونَ عَنْ هَزْلِ الْمُلُوكِ إِلَى ٱلَّذِي
تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ عَلَى ٱلْجِدِّ(٣)
وَمَنْ يَصْحَبِ ٱسمَ ٱبْنِ ٱلْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ
يَسِرْ بَيْنَ أَنْيَابِ الأَسَاوِدِ وَٱلْأُسْدِ(٤)

= الواحدة نجيبة: الكريمة من النياق. لا يستقرّ الشاعر في مكان بعينه، فكلّ الأمكنة نُزوله وعيشه متحوّل متغير تبعاً لأجواء البلاد التي يحلّ بها، ووسيلته في التنقل الدائم نجائب لا يفكرْن بتقلّب الدهر من نحس وسعد، بل إنهنّ ساعيات دائماً بجدّ واجتهاد، شأنهن كشأن الشاعر في ما رسمه لنفسه وغلمانه الذين يُشاركونه قدره فيرتحلون برحيله وينزلون حيثما نزل، ويتعرّضون لما يتعرّض له، وحالهم أنهم يتلثّمون لشدّة حيائهم، وليس اتّقاءً من حرّ أو برد، إنهم فتية كرماء شرفاء.

(١) الشيمة: الصفة الخلقية. الأسد الورد: الذي في لونه حمرة، يمدح الشاعر غلمانه، فحياؤهم ملكة نفسيّة كحياء الأسد الورد، حياء الأقوياء الكرماء الشجعان، وليس كحياء الذئب المطبوع على الجبن والخبث والغدر.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٥. يصف الشاعر مسلك غلمانه، وهو قائدهم؛ إنهم يجوزون كيفما كانت الحال، فلو لم يكن مرورهم بأرض قوم طواعية وبترحاب من أهلها، مرّوا بها رغماً عنهم وقاتلوهم على ذلك.

(٣) يتخلّص الشاعر إلى مدح ابن العميد، يصف الشاعر غلمانه بأنهم لا يرغبون باللهو المتمثل بملوك همهم الصيد واللهو وتوابعهما دون من يشتهر من الملوك ذوي الهمم والجِدّ.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٥. الأساود: أخبث الحيات. للأسماء إيحاءات عند بعض الناس، واسم ابن العميد محمد يُوحي لمن انتسب إليه بالأمان والطمأنينة، وهؤلاء ينسبون إليه، لذلك فهم لا يهابون ولا يخافون السير حيث تكثر الحيات والأسود لعلم تلك المخلوقات بقوّة وشجاعة من ينتسب إليه أولئك الغلمان.

يَـمُـرُّ مِـنَ الـسُّـمِّ ٱلْـوَحِـيِّ بِـعَـاجِـزٍ،
وَيَـعْـبُـرُ مِـنْ أفْـوَاهِـهِـنَّ عَـلَـى دُرْدِ[١]
كَـفَـانَـا الـرَّبِـيـعُ ٱلْـعِـيـسَ مِـنْ بَـرَكَـاتِـهِ
فَـجَـاءَتْـهُ لَـمْ تَـسْـمَـعَ حُـدَاءً سِوَى الـرَّعْـدِ[٢]
إذَا مَـا ٱسْـتَـجَـبْـنَ الـمَـاءَ يَـعْـرِضُ نَـفْـسَـهُ
كَـرِعْـنَ بِـسِـبْـتٍ فـي إنَـاءٍ مِـنَ الْـوَرْدِ[٣]
كـأنَّـا أرَادَتْ شُـكْـرَنَـا الأرْضُ عِـنْـدَهُ
فَـلَـمْ يُـخْـلِـنَـا جَـوٌّ هَـبَـطْـنَـاهُ مِـنْ رِفْـدِ[٤]
لَـنَـا مَـذْهَـبُ ٱلْـعُـبَّـادِ فِـي تَـرْكِ غَـيْـرِهِ
وَإتْـيَـانِـهِ نَـبْـغِـي الـرَّغَـائِـبَ بـالـزهْـدِ[٥]

---

(١) السمّ الوحيّ: القاتل السريع. الدرد، الواحد أدرد: من ذهبت أسنانه. ولاسم الممدوح سحر عجيب، فحتى في حال مرور هؤلاء المنتسبين إلى ابن العميد على ذلك المكان وحدث أن إحدى الحيات لدغت أحدهم فإنه لن يموت، فاسمه بمثابة تعويذة وبلسم يُبطل فعل السمّ الزعاف، وحتى إنه يبطل فعل أنياب الأسود فكأنها درد.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٥. العيس: كرائم الإبل. الحِداء: الغناء مع سوق الإبل. يصف الشاعر ممدوحه بأنه موفّق من ربّه؛ فببركته كان المطر وأخصبت الأرض ونشر الربيع رايته على الأرض وغنّت السماء أغنية الرعد، فإذا بالإبل تسبح في الأرض مكتفية بذلك عن الحداء.

(٣) كرعن: شربن الماء غبًّا بسرعة. السبت: جلود البقر. يروى «استحين» بدلاً من «استجبن». واستحين من الحياء. يصف الشاعر طريقة شرب الإبل، وهي تمرّ بالأراضي وقد أترعت بالماء ونبت الزهر خلالها ألواناً متعدّدة، وكأنّها كؤوس مزخرفة بشتى الألوان امتلأت بالماء يروي الظمأ.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٥. الرفد: العطاء. الطبيعة كريمة، تُعطي فقط طبعها اللّه تعالى بفضل كرمه، لذا حيثما مرّ الركب كانت المياه تفيض وتغطي الأعشاب الأرض، فلم يُعوز الشاعر وصحبه ما تعتلف به حيواناتهم وكأنها تطلب منهم شكرها بذكر ما حصل لهم عند الممدوح.

(٥) يُعلن الشاعر عزمه أنه يرغب في المثول بين يدي ابن العميد دون سواه؛ فقد زهد بالملوك لأن ممدوحه أفضلهم وخيرهم وأكرمهم.

رَجَـوْنَـا الَّـذِي يَـرْجُـونَ فـي كـلِّ جَـنَّـةٍ
بِـأَرْجَـانَ حَـتَّـى مَـا يَـئِـسْـنَـا مِـنَ ٱلْـخُـلْـدِ[١]
تَـعَـرَّضُ لِـلـزُّوَّارِ أَعْـنَـاقُ خَـيْـلِـهِ
تَـعَـرُّضَ وَحْـشٍ خَـائِـفَـاتٍ مِـنَ الـطَّـرْدِ[٢]
وَتَـلْـقَـى نَـوَاصِـيـهَـا الـمَـنَـايَـا مُـشِـيـحَـةً
وُرُودَ قَـطـاً صُـمٍّ تَـشَـايَـحْـنَ فـي وِرْدِ[٣]
وَتَـنْـسُـبُ أَفْـعَـالُ الـسُّـيُـوفِ نُـفُـوسَـهَـا
إِلَـيْـهِ وَيَـنْـسُـبْـنَ الـسُّـيُـوفَ إِلَـى الـهِـنْـدِ[٤]
إِذَا الـشُّـرَفَـاءُ ٱلْـبِـيـضُ مَـتُّـوا بِـقَـتْـوِهِ
أَتَـى نَـسَـبٌ أَعْـلَـى مِـنَ الأَبِ وَٱلْـجَـدِّ[٥]

---

(١) أرجان: من بلاد فارس. تمنّى الشاعر الخلود والبقاء في أرّجان حيث يتولّى ابن العميد الحكم، إنها جنّة على الأرض بما يتوفّر من أسباب الطمأنينة والأمن فيها، تماماً كما يتمنّى البشر الخلود في الجنّة لما فيها من نعيم حيث يسعد المؤمنون بنعيم أبديّ.

(٢) وخيل الممدوح تتعرّض لزوّاره، فإذا ما أعجبتهم سألوا الممدوح بأن يهبها لهم لأنها تعلم مسبقاً مدى كرمه فهو لن يتأخر وفي ذلك راحتها من مخاطر حروبه وطراده فتنعم بالراحة في حال انتقالها إلى أيديهم.

(٣) شاح بوجهه: مال معرضاً. الورود: الإتيان إلى مواضع الماء. القطا: ضرب من الطيور شبيه بالحمام. يصف الشاعر فعل خيول الممدوح؛ إنها تواجه الموت ببسالة، فنواصيها تتلقى الرماح، وتُشيح بوجوهها طواعية لفرسانها ممَّا يدلّ على أنها متمرّسة بالقتال، فضلاً عن شجاعة فرسانها.

(٤) من المؤكد أن السيف مهما يكن ماضياً وقوياً، فقوّته ومضاؤه مستمدّتان من قوّة الساعد الذي يضرب به. يمدح الشاعر ممدوحه بأن ضربات السيوف جيدة الصنع والمصنوعة في الهند تنتسب إليه، لأنه لا يوجد في الأبطال من يضرب ضرباته؛ إنه البطل الأوحد.

(٥) البيض: الأحرار، السادة. متّوا: ارتبطوا وانتسبوا. القتو: الخدمة. وممَّا يدلّ على عظم شأن الممدوح أن السادة من الأحرار إذا تشرّفوا بخدمته انتسبوا إليه فعلا شأنهم لعلو شأنه، وتفوّقوا على أنساب آبائهم وأجدادهم، فكان ذلك شرفاً لا يُدانيه سواه.

فَـتًـى فَـاتَـتِ ٱلْـعَـدْوى مِـنَ الـنَّـاسِ عَـيْـنُـه
فَـمَـا أَرْمَـدَتْ أَجْـفَـانَـهُ كَـثْـرَةُ الـرُّمْـدِ[١]
وَخَـالَـفَـهُـمْ خَـلْـقـاً وَخُـلْـقـاً وَمَـوْضِـعـاً
فَـقَـدْ جَـلَّ أَنْ يُـعْـدَى بِـشَـيْءٍ وَأَنْ يُـعْـدِي[٢]
يُـغَـيِّـرُ أَلْـوَانَ الـلَّـيَـالِـي عَـلَـى الْـعِـدَى
بِـمَـنْـشـورَةِ الـرَّايَـاتِ مَـنْـصُـورَةِ الْـجُـنـدِ[٣]
إِذَا ٱرْتَـقَـبُـوا صُـبْـحـاً رَأَوْا قَـبْـلَ ضَـوْئِـهِ
كَـتَـائِـبَ لَا يَـرْدِي الـصَّـبَـاحُ كَـمَـا تَـرْدِي[٤]
وَمَـبْـثُـوثَـةً لَا تُـتَّـقَـى بِـطَـلِـيـعَـةٍ
وَلَا يُـحْـتَـمَـى مِـنْـهَـا بِـغَـوْرٍ وَلَا نَـجْـدِ[٥]

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٥. فاتت: تخطّت. أرمدت: أصيبت عيناه بمرض الرمد، وهو احمرار يغزو العينين في أوقات محدّدة من فصول السنة. يمدح الشاعر ممدوحه بأنه ذو مناعة من العدوى التي تنتقل بين البشر، ولعلّ المرض الخلقي أكثر انتشاراً وأسرعه، إذاً فالممدوح خالٍ من سيّئ الأخلاق ورديئها.

(٢) ولذا فالممدوح يُخالف سائر الناس بطباعهم وأخلاقهم نُبلاً وكرماً وعلماً وشجاعة وأصالة نسب وعلوّ همَّة ما وهذا ما سمح له أن يتخطّى مسافات بعيدة ويسبقهم في تلك الميادين ممَّا صعّب عليهم اللحاق به وبلوغ شأوه.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٨١٢٥. الرايات: الأعلام. يصف الشاعر جيش الممدوح، إنه جيش النصر، راياته خفّاقة دائماً، تحمل لأعدائه دماراً وخراباً، فإذا بلياليهم يتبدّل حالها، فإذا ما حلّ جيشه في أراضي أولئك ليلاً تحوّل إلى شُعلة ضِياء ونار، فأكلت الأخضر واليابس والحجر والبشر، فاستحال كلّ شيء رماداً.

(٤) الكتائب، الواحدة كتيبة من الجند الخيَّالة. الرديان: ضرب من عدو الخيول السريع. يذكر الشاعر هجوم جيش ممدوحه السريع، وهم يمتطون خيولهم تسابق الريح؛ إنهم يُفاجئون أعداءهم، وهم لا يزالون نياماً قبل أن يسحب الليل أذياله، فتكون مباغتة مميتة.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٥. مبثوثة: منتشرة في كلّ مكان. الغور من الأرض: المنخفض منها. والنجد من الأرض: المرتفع منها. يصف =

يَـغُـصْـنَ إِذَا مَـا عُـدْنَ فـي مُـتَـفَـاقِـدٍ
مِـنَ الْـكُـثْـرِ غَـانٍ بِـالْـعَـبِـيـدِ عَـنِ الْـحَـشْـدِ[١]
حَـثَـثْ كُـلُّ أَرْضٍ تُـرْبَـةً فـي غُـبَـارِهِ
فَـهُـنَّ عَـلَـيْـهِ كَـالـطَّـرَائِـقِ فـي الْـبُـرْدِ[٢]
فَـإِنْ يَـكُـنِ الـمَـهْـدِيُّ مَـنْ بَـانَ هَـدْيُـهُ
فَـهَـذَا وَإِلَّا فـالْـهُـدَى ذَا فَـمَـا الـمَـهْـدِي[٣]
يُـعَـلِّـلُـنَـا هٰـذَا الـزَّمَـانُ بِـذَا الْـوَعْـدِ
وَيَـخْـدَعُ عَـمَّـا فـي يَـدَيْـهِ مِـنَ الـنَّـقْـدِ[٤]

= الشاعر الخطط التي يعتمدها ممدوحه بقيادة جيشه؛ إنه ينشر فرقه في كلّ مكان بحيث يحيط بأعدائه، فلا يستطيعون دفاعاً عن أنفسهم، لقد فات الأوان، فإحكام القبضة على الأعداء، حتى طلائع القوم قد فقدت فاعليتها لسرعة الانقضاض من قبل جيش الممدوح وحسن الانتشار فيهم.

(١) يروى «يغضْن» بدلاً من «يَغُصْن»، ويروى «غِرْن» بدلاً من «عُدْن». يغصن: يدخلن في اليمّ، وهنا بمعنى يختلطن، غانٍ: مكتفٍ. الحشد: الجمهور. يصف الشاعر عودة جيش الممدوح إلى ثكناته، والمفاجأة الكبرى أن من في تلك المعسكرات يفوق كثيراً من شارك في القتال، فإذا بالعائدين يختلطون بزملائهم فيضيعون لدخولهم مع سواهم من عبيد الممدوح؛ إنه لا يستعين بالمرتزقة من المقاتلين، بل بما يملك منهم.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٦. حثا التراب: ذرّاه بيده. الطرائق: الخطوط: البرد: ضرب من الأردية المخططة. ومن مآثر الممدوح أنه يجوز الأرض غازياً ومحارباً، فيمرّ بالقطع منها مختلفة الألوان، فإذا بالغبار المتساقط منه يرسم خط مسيره فيها لكثرة أسفاره وغزواته، فيبدو كأنه خطوط ثوب حمراء أو سوداء أو بيضاء أو صفراء.

(٣) و (٤) ورد البيتان المتواليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٧. المهدي من آل البيت، يقول بعضهم: إنه سيظهر آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً ويُزيل الظلم عن المسلمين. يمدح الشاعر ممدوحه بأنه اجتمعت فيه مآثر المهدي الأخلاقية والخلقية فإن لم يكن كذلك، فمن يمكن أن يكون كذلك؟ وقد اجتمعت فيه كل صفاته. والظلم قد عمّ وتباشير ظهور المهدي تبدو واضحة والناس يلهجون بذلك، وهم على =

هَـلِ الْـخَـيْـرُ شَـيْءٌ لَـيْـسَ بِـالْـخَـيْـرِ غَـائِـبٌ
أَمِ الـرُّشْـدُ شَـيْءٌ غَـائِـبٌ لَـيْـسَ بـالـرُّشْـدِ(١)
أَأَحْـــزَمَ ذِي لُـــبٍّ وَأَكْـــرَمَ ذِي يَـــدٍ
وَأَشْـجَـعَ ذِي قَـلْـبٍ وَأَرحَـمَ ذِي كِـبـدِ(٢)
وَأَحْـسَـنَ مُـعْـتَـمٍّ جُـلُـوسـاً وَرِكْـبَـةً
عَـلَـى الـمِـنْـبَـرِ الْـعَـالِـي أَوِ الْـفَـرَسِ الـنَّـهْـدِ(٣)
تَـفَـضَّـلَـتِ الأَيَّـامُ بِـالْـجَـمْـعِ بَـيْـنَـنَـا
فَـلَـمَّـا حَـمِـدْنَـا لَـمْ تُـدِمْـنَـا عَـلَـى الْـحَـمْـدِ(٤)
جَـعَـلْـنَ وَدَاعِـي وَاحِـداً لِـثَـلَاثَـةٍ
جَـمَـالِـكَ وَالْـعِـلْـمِ الـمُـبَـرِّحِ وَالـمَـجْـدِ(٥)

= موعد للخلاص ممّا هم فيه، وتباشير ظهوره تبدو جليّة، وإن لم يكن المهدي، فمن هذا الإنسان الذي تجشّمت فيه كلّ سمات المهدي؟

(١) يستنكر الشاعر ألّا يكون ممدوحه المهديّ حقاً، وقد تمثل فيه العقل والرشد والصلاح والتقى، ولذا فإنه يُنكر أن ما بدا من مزاياه الحميدة إلّا أنه المهدي، فلم لا يكون كذلك؟

(٢) و (٣) الحزم: حسن التصرّف بجدّ. اللبّ: العقل. يعدّد الشاعر مزايا ممدوحه مخاطباً إياه؛ إنه يمتاز بعقل راجح يزين الأمور بميزان دقيق عادل، وإنه كريم ينفق بغير حساب ولا يخشى فقراً، فضلاً عن شجاعة وبطولة يُحسب لهما كلّ حساب وقت الشدائد والحروب، ولذا فرحمته بالمساكين والضعفاء من حسناته رغم قوّته وشجاعته، وأنه أحسن مَن تعمّم من الرجال، تقيّ وورعاً، وأنه سيّد المنابر، مفوّه خطيب لَسِن، يعتلي المنابر ويُشرف على المستمعين، وكلهم يستمع إليه بشغف وحبّ وإعجاب.

(٤) و (٥) إنها الأيام والأقدار قد جمعت بين الشاعر وممدوحه، ولكلّ بداية نهاية، فحمدا الصحبة، ولكن لم تدم طويلاً حتى كان الفراق؛ إنه الوداع شأن كلّ شيء. وما يؤلم الشاعر أنه ودّع في ممدوحه ثلاثة أشياء تندر أن تكون في الكبار من الرجال: جمال الخلقة وهذا شيء محبّب للعيون والقلوب، ووفور العلم والذكاء، رائده، والمجد المؤثل، وهذا ما يؤسف له.

وَقَـدْ كُـنْـتُ أَدْرَكْـتُ الـمُـنَـى غَـيْـرَ أَنَّـنـي
يُـعَـيِّـرُنـي أَهْـلِـي بِـإِدْرَاكِـهَـا وَحْـدِي[١]
وَكُـلُّ شَـرِيـكٍ فـي الـسُّـرُورِ بِـمُـصْـبَـحِـي
أَرَى بَـعْـدَهُ مَـنْ لَا يَـرَى مِـثْـلَـهُ بَـعْـدِي[٢]
فَـجُـدْ لِـي بِـقَـلْـبٍ إِنْ رَحَـلْـتُ فَـإِنَّـنـي
مُـخَـلِّـفُ قَـلْـبِـي عِـنْـدَ مَـنْ فَـضْـلُـهُ عِـنْـدِي[٣]
وَلَـوْ فَـارَقَـتْ نَـفْـسـي إِلَـيْـكَ حَـيَـاتَـهَـا
لَـقُـلْـتُ أَصَـابَـتْ غـيـرَ مَـذْمُـومَـةِ الـعَـهْـدِ[٤]

الحرب غاية الكائد

يمدحه ويذكر هزيمة وهشُوذانَ:

[المنسرح]

أَزَائِـــرٌ يَـــا خَـــيَـــالُ أَمْ عَـــائِـــدْ
أَمْ عِـــنْـــدَ مَـــوْلاكَ أَنَّـــنِـــي رَاقِـــدْ[٥]

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٥. يُعلن الشاعر رضاه وامتنانه، فقد حصّل ما تمنّاه من مجيئه إلى ديار ممدوحه، مالاً وغنًى وسعادة بقربه؛ فهذا يُفرحه ولا بدّ له من أن يشارك أهله به، وإلّا اعتبر أنانياً لو استأثر بكلّ ذلك لنفسه دونهم.

(٢) يعبّر الشاعر عن مدى تأثره بفراق ممدوحه ابن العميد؛ فأهله وصحبه سوف يفرحون بعودته سالماً يحمل لهم أموالاً وعطايا، وهو سيفرح حتماً بلقائهم، ولكنه يحمل معه شيئاً عزيزاً عليه لا يُشاركونه به أنه رأى وجهاً محبّباً إليه وعرفه على حقيقته.

(٣) يطلب الشاعر المزيد من العطاء، إنه راحل ولكنه سوف يترك قلبه عند ممدوحه لما كان منه من حسن الضيافة والكرم، فقد أسر قلبه واستحوذ عليه.

(٤) ويُردف الشاعر قوله مؤكداً إحساس الامتنان لما وجده لدى ممدوحه، فحتى لو فارقته نفسه وفضّلت عليه ممدوحه ما لامها على ذلك، ولا نسبها إلى النكران وسوء العهد، بل على العكس لعلم أنها بارة كشأن الشاعر، فهو لن ينسى ما لاقاه في كنف ممدوحه.

(٥) يبدأ الشاعر قصيدته بمطلع غزليّ، يُخاطب فيه خيال حبيبته وقد زاره في منامه سائلاً =